

ولأن في التاريخ بدايات المستقبل ...

تُخصِّصُ هذه الصفحة صبيحة كل يوم سبت، لتحضُّنُ محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبهـم وتاريخه التماعات نضالية هي خطوات راسخت على طريق النصر العظيم.

## «ساعده الفيلسوف»... للدكتور كمال يوسف الحاج

بتاريخ 21/12/2017 نشرت «البناء» تحت

عنوان «كمال الحاج مستعداً في جامعة «سيده اللويزة» الخبر التالي:

«بدعوة من مؤسسة الدكتور اللبناني وآحاد الكتاب اللبنانيين، أقيمت في جامعة سيِّدة اللويزة، ندوة بعنوان مركزات الفكر السياسي في رؤية كمال يوسف الحاج.

كلمة ترحيبية من رئيس مؤسسة الفكر اللبناني الدكتور أمين ألبرت الريحاني، وأخرى من أمين عام آحاد الكتاب اللبنانيين الدكتور وجيه فانوس. واستهلَّت أعمال الندوة التي ادارتها الدكتورة أميرة المولى بدراسة قدمها الدكتور ربيع الدين عن الالتزام السياسي والاجتماعي في فكر كمال يوسف الحاج، تلتها مداخلة للدكتور ناصيف قزّي بعنوان أبعاد الفكر السياسي اللبناني عند الحاج، فمداخلة للوزير الأسبق بشارة مرمح عن موقف الحاج من الفكر العروبي». ثم كانت أسئلة الحضور وأجوبة للمنتدبين أتبعته بنصّ الدراسة التي كان قدامها الإمين الدكتور ربيع الدين.

هذا ما جعلني أعود بذاكرتي إلى النشاطات الحزبية الكثيرة التي كانت تقام في «بيت الطلبة» في الفترة (1957 – 1959)، ومنها المحاضرتين اللتين القاهما الدكتور كمال يوسف الحاج، احداهما بعنوان «سعادته وعجاج المجهول» والآخرى بعنوان «سعادته الفيلسوف».

وأذكر ان قاعات البيت، كانت تضيق بمئات الطلبة الجامعيين والثانويين من رفاقه ومواطنيـن.

كان بيت الطلبة يقع في الطابق الأرضي من بناية، في مواجهة سينما «الخيام» حالياً، وأنكر ان في المقابل كانت تقف عائلة الرفقاء حريق: نجيب، لور والهلم، وفي الجوار، منزل الأمين رضا كبريت وعلى بعد مئة متر تقريبا منزلي الأمينين انعام رعد وعجاج المهنار.

من المعروف ان استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية الدكتور كمال يوسف الحاج، كان من مناصري «القومية اللبنانية».. في الخمسينيات كان اقترن من الأدبية ماغي الأشقر، نسبة الأمين اسد الأشقر. قرأ سعادته جيدا، وكتب في محاضرتين اشترنا اليهما اعلاء، وأذكر ان مجلة «المجلة»<sup>(1)</sup> نشرت للمحاضرتين، ثم أعادت نشرهما مجلة «الثقافة»<sup>(2)</sup>.

عن مجلة «الثقافة» نقلت النص الكامل للمحاضرة بعنوان «سعادته الفيلسوف»، لمن يرغب في الاطلاع:

الإنسان العشريّني إنسان احاطة... إنسان ليفي العقل إلى الكلية... إنسان غوال لا يرضيه الجزيء. انه العائكان الواحد التوافق إلى المعرفة. ولا العقل على التلك التي تشمل. كطريق الخاص بالعام، غامرة هكذا كل ظواهر المادة ومظاهر النفس.

المعرفة المعرفية هي دائما معرفة شاملة. الطولية، هي في حد ذاتها، ليست معرفة. هي جزء من كل. هي فردية منكمشة. قد تكون، في حد ذاتها. وقد لا تكون. الذي يبنّيتي انها كائنة – في حد ذاتها – او غير كائنة، هو الحكم الصادر عليها من قبل الإنسان. حين تربط بالإنسان، فيحكم عليها بانها كائنة – في حد ذاتها – او غير كائنة (اي حين يربط خاص الطاوله للإنسان الذي هو اشمل منها واعم) حينذاك ينقلب واقعها حقيقة... وحينذاك فقط تصبح الطاوله معرفة، ولا معرفة خارج الغاية.

والإنسان، في حد ذاته، ليس معرفة. هو جزء من كل. هو فردية منكمشة. قد يكون، في حد ذاته، وقد لا يكون. الذي يبنّيتي انه كائن – في حد ذاته – او غير كائن، هو الحكم الصادر عليه من قبل المجتمع المحيط به. حين يربط بالمجتمع، فيحكم عليه بانّه كائنة – في حد ذاته – او غير كائن (اي حين يربط خاص الإنسان بالمجتمع، الذي هو اشمل منه واعم) حينذاك ينقلب واقع حقيقة... وحينذاك فقط يصيح الإنسان معرفة، ان المجتمع هو غاية الإنسان، ولا معرفة خارج الغاية.

المعرفة المعرفية، اذن، هي التي تشمل. هي التي تعبر الوجود كله في ضمة واحدة. هي التي تتألف ابرتها السماء والارض في قطبة واحدة. هي نظرة شاملة في الله، والإنسان، والطبيعة. هذه المعرفة الحققة لا تغفل بالجزئي.. لا تغفل بالمكسر، هي نمط

خاص في يصير عامي. هو وحدة زخم يحضن كل شيء جملة واحدة. تلك هي الفلسفة الخاصة. يقولون نحن في زمن الاقتصاد. اجل، نحن في زمن الاقتصاد. ويقولون نحن في زمن الاجتماع. اجل، نحن في زمن الاجتماع. ويقولون نحن في زمن السياسة. اجل، نحن في زمن السياسة. ولكننا، قبل كل شيء، في زمن الفلسفة. ان عصرنا هو عصر النظرة الشاملة في الاحد. هو عصر استعلاء الفكر بفكرة إلى الواحد الاحد. هو عصر العقيدة. الاقتصاد، والاجتماع، والسياسة ابواب من المعرفة. اجل، نحن في كل منها، كياب من ابواب المعرفة. يبقى ان المعرفة ذاتها ليست ابوابا مفكّكة... مخلّعة. يوم تجزأ المعرفة بابا بابا، فمن قبيل التيسير يقضي التفسير. اما حقها الصافي، التقني، الخالص، فهو انها كالحلقة التي من حيث جنحتها قالت لك هنا ألقي ويأتي معا... ان كلي هو في كل بداية وفي كل نهاية.

قد نصف الاقتصاد على انه باب من ابواب المعرفة. ان ذاك يكون علما. وقد نصف الاقتصاد على انه القاعدة الاساسية للمعرفة ان ذاك يكون الفلسفة. وان ذاك فقط يصيح الاقتصاد كيبور. كل علم صغير مطت حروفه، فشمّل وجمع، يصبح فلسفة في الوجود وما الفلسفة الا ذلك الاطلاق الجامع الشامل، على مبرعات الوجود. الفلسفة رعدة باطنية تنتاب الوجدان، مرة خلال العمر، في منية مكوكية، فيفتح العقل بها على مصاريعه، ليدرك ان العلوم البشرية المجزأة هي ذات مفتاح واحد.

اجل، كل شيء كبير هو الفلسفة. الابد الكبير لفلسفة. لفن الكبير لفلسفة. السياسة الكبيرة فلسفة. تلك هي المعرفة المعرفية. والامم الواعية هي الامم العارفة بكبر في الذات. هي الامم المتفلسفة. هي الامم التي تستشرف من على قضايا الوجود رمة. ان امة لا تتفلسف في امة تتقرّم. هي امة تتصعلك. هي امة تقنّع بالزهيذ. انها امة مملوكة. لا يقبلها التاريخ الاكبر، في قدس اقداسه. انها امة مدعوسة.

ولقد عرفنا الفلسفة، نحن، في هذه الرقعة من الارض. عرفناها تحت سمانتنا، يوم جاء سعادته، وكانت الامّة كلها ترتقب تلك الساعة الرائعة، عرفناها يوم نظر سعادته، وشمل، وعقد، فكانت النظرة الشاملة... وكانت العقيدة. يومها كانت غاية عظمي، فعلت، وفغيرت وجه التاريخ. يومها ولجنا ابواب عصر جديد، فكان عالم النور.

السياسة سياستان. واحدة عامودية هي الكبرى، وثانية اقفية هي الصغرى. سعادته ما جاء ليبتسيب اقفيا. لقد كان كبيرا وكبيرا في سياسته. لقد تسيّس عاموديا. مثله كمثل النسر الذي يخلق في الجو الفسيح، النسر لا يتأرض. النسر يمرح في شاطئ المجرة. هكذا كان سعادته في سياسته. كان عملا، وطلاء، وشهيدا. كان ذا عقل فاهم، ونفس نيرة. لقد كان يغير من فوق، بل من فوق الفوق، على مساحب الزمان ومرابط المكان.

قال... القيمة الكبرى، هي في العقيدة، لا في العيش. ان العيش لا قيمة له. وما اكثر العائشيين. بيتنا، بدون عقيدة. يومها عرفنا الفلسفة. يومها قلنا، وسعادته هو المعلم، ونحن نفر في المسائل الكبرى. نحن تفكر في امور لا تحظر على بال المرشح الثابتي. يومها وجدت الفلسفة عندنا. ومتى وجدت امة فلسفة لها، فقد وجدت حقوقها. ووجدت السبيل إلى هذه الحقوق. لا معنى لامة لا تتفلسف. انها امة تابعة، لامة متبوعة. اجل، لفلسفة اليوم قال سعادته ان من حركتنا قضية عظيمة مقدسة. ونحن نثبت في هذه القضية العظيمة المقدسة. ونحن ننمو من اجل هذه القضية العظيمة المقدسة. ونحن من اجل هذه القضية العظيمة المقدسة نحارب بالفكر... نحارب بالعمل... نحارب بكل وسيلة. وهل للحياة قيمة بدون قضية عظيمة مقدسة؟ بدون مبدأ؟ وبدون عقيدة؟ هل للحياة قيمة بدون مثل منشود؟ يومها عرفنا الفلسفة. يومها قال سعادته: «ما قصدت كره الاجنبي». ان ليس من هنا ينبغي لنا ان نبدا. البداية الكبرى ليست بغضا او جريمة. البداية الكبرى هي في صهر العقائد المتعارفة... في سبكها نظرة واحدة تشمل كل فكرة... في صيها، ثم

## البناء

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمة، استمرار مادي روحي راخ يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفق الشمس.

وراء الوجود وحدة «روحية»... والتسامي ضمن الوجود «مادية». بهذا الخطأ خسرنا الارض، ولم نربح السماء. ذلك لان الوصول إلى السماء يقتضي ارتقاء من الارض لا انحطاطا من السماء.

والارض ارضون، لا واحدة، والا الغيت ارضيتها. القوة تتجسم افعالا. الجوهر يتمظهر وجودات الانسانية تتجسد قوميات. لا اجماع حول السماء الا في عالم ينفتي منه تنوع النظر. ولكن عالمانا هو عالم مجتمعات. اذ لا جوهر للجوهر الواحد الا في وجودات متعددة.

معركة غيبية، او الهية، تجري وراء هذا العالم، ولا يشترك فيها الإنسان – المجتمع الإنساني. الحرية ليست حرية السماء حيال السماء. بل حرية الارض

امتشاقها رؤية جامعة تغمر الوجود رمة. البداية الكبرى هي في الحرية البيضاء.. تلك هي المحبة. يومها وجدت الفلسفة عندنا. يومها ولدت، تحت سمانتنا، وعاشت واستشهدت، وبذلك استخلدت. منذ تلك الساعة الرائعة، لم تعد المطامع الاجنبية قادرة على تفسيح وحدتنا، وأضعاف قوانا. يومها قلنا للاغيار، وبهدوء وشمم، ان فينا سرا عظيما. يومها تانسنت قوميتنا.

يومها ارتفعنا مع سعادته، كالصاروخ المجنح، إلى حيث لا فوق فوق فوه... إلى الخزان العام التي تنفجر منه السويقات. من ذلك الخزان العام يستمد صفة العبقرية والبطولة، الموسيقى النابضة، والايبب النابغة، والمرابي النابغة، والمصور النابغة، والشاعر النابغة... والسياسي النابغة.

كل شيء كبير يستجلب فوراً من ذلك الخزان الصافي. كل شيء كبير يتعدى صفائهِ الامور إلى القضايا الاساسية، التي تواجهها النفس الإنسانية والراقية، المركبة، بما فيها من افكار، وشعور، ومطامح، وميول، ومثل... والى ما تتعرض له تلك النفس من الصراع العنيف، الخفي او العلن، بين الاجمل والاقبح. بين الاسمي والاسفل بين الانبل والارذل.

من ذلك الخزان العام اغار سعادته ثانية على الحياة. لقد ارتفع اليه، واقتنع منه النظرة الفلسفية الجديدة إلى القضايا الكبرى، المادية منها والروحية. إلى القضايا الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والسياسية. ان كل نهوض سياسي لا يبني على الفلسفة هو من عوامل التخريب لا التعمير. السياسة الكبرى تحتاج إلى حافظ روحي. هذا الحافظ الروحي لا يكون خارج الشعور بوجود الخزان العام الذي هو شعور بوجود الإنسانية. بدون هذا الحافظ الروحي، الذي هو شيء حقيقي لا وهمي، تغدو السياسة الوائنا تقليدية، استعارية، باهتة. لا نظارة لها، ولا رونق ولا شخصية. هنا، هي الخزان العام... اعني في النظرة الفلسفية الشاملة. نقطة الابتداء لمطب سياسة كبيرة، واشكال سياسية كبيرة.

اما فلسفة سعادته فبناء متماسك له سقف عال هو الجوهر (او السماء) وقاعدة راسخة هي الوجود (او الارض) وجدران اربعة هي القيم الانسانية الكبرى... اعني الحرية، الواجب، النظام القوة، تلك هي الحقيقة.

### السقف

السقف هو الجوهر. هو السماء. والسماء واحدة، لا سموات، والا الغيت سماويتها. لا تعدد في الجوهر، من حيث هو، لانه ذو اقوم بسيط. والبسيط لا يتجزأ. ثمة جوهر واحد، في كل الناس، هو الإنسانية. اجل، هناك إنسانية واحدة، لا انسانيات... إنسانية واحدة، هي ذاتها، في كل زمان وكل مكان. هي ذاتها عبر التاريخ. هذه الإنسانية هي، عينها، وحدة الطبيعة البشرية. الكائنة، في جميع الشعوب، وان تعددت الامزجة. الحب، الغيظ، الرقة، القسوة، السرور، الحزن، الطرب، التامل، اللهو، التكبير، الطموح، القناعة، جميع هذه الشورات، والانفعالات والتصورات، هي واحدة لدى الامم كلها في الشرق والغرب لا فرق بين امة وامة الا بمقدار نثية النفوس لذلك الخزان، العام، وارتقاها اليه شدة احساسها به... او خمولها، وانحطاطها، وعدم شعورها بالمنبع الاول، بجوهر كائن، هو تلك الطبيعة البشرية الواحدة. والجوهر، لا يكون جوهرين، بل واحد. والسماء، لا تكون سمانتين، بل واحدة. والعقيدة، لا تكون عقيدتين، بل واحدة. والزوجية، لا تكون زوجيتين، بل واحدة.

### القاعدة

ولكن السماء ليست في السماء فقط، وانما هي على الارض، ايضاً، والا ما كانت سماء. فمن اراد ان يدرك السماء، قبض على الارض، وسخرها لغاياته المساوية. لذا كانت الجواهر المساوية وجودات ارضية... اي كانت القيم الإنسانية تحقيقات قومية. الحق، والخير والجمال، قيم اجتماعية. الحق انتصار على الباطل في معركة إنسانية، وليس في

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمة، استمرار مادي روحي راخ

يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفق الشمس.

إعداد: **ليبي ناصيف**



الدكتور كمال يوسف الحاج

يفر من الموت، في سبيل اعادة الحرية إلى ذاته. لم يفعل ذلك حرصا منه على النظام الاكبر في الوجود، والا عدّ جيانا. جاء سعادته ليحدث رعدة في قومه، وميوت لأجله. ذلك هو النظام الذي فرضته عليه الحرية. تلك كانت رسالته، والنظام تادية رسالة. وقد أتم رسالته، وختمها بدمه الشهيد.

### الجدار الرابع

النظام قوة. ولذا كان سر النجاح ليس في النظام عينه، بل في القوة التي تحرك النظام، اجل، متى ادرك الإنسان الحرية الصحيحة، شعر بواجب وجودها ومتى شعر بواجب وجودها، في كيانه، اضطلعت العقبات من امامه. لقد اندمج بالناموس الاعظم، وتحرك كما تتحرك كهربائية هذا الناموس، فتتحكم بالخطر. الخطر ليس في الخارج او من الخارج. الخطر هو في الداخل او من الداخل. هو عدم ثقة بالنفس. هو من الذات الباطنة الخالية، الفارغة، من انعام الحرية.

الخطر، يقول سعادته، هو في اضطراب الاعصاب. وكذلك القوة. القوة ليست في الخارج. او من الخارج. القوة هي جوانبات النفس البشرية. من هناك تتلطق الثقة بالنفس. لذا كانت فاعلة مندفعه. كانت، بطبيعية نشوئها، قوة مهاجمة، لا قوة مدافعة. كانت صراعا لا نهاية له، لن العظمة التي تصل إلى نقطة، وتقف، تعلن انها انتهت هي دون العظمة الحقيقية. العظمة الحقيقية لا يمكن ان تحد. العظمة الحقيقية لا تنتهي ابدأ. تلك هي القوة الجبارة.

### بفضله، وللمرّة الأولى

هذا هو سعادته الفيلسوف. بفضله عرفنا الفلسفة، فعرفنا السياسة الكبرى. الذي اعلمه ان سعادته لم يكن يرمي، إلى غرض سياسي صغير. لقد كان يرمي إلى ما هو اعظم شائنا، واكثر فائدة.

والجمال.. والنور والوحي والكمال..

هوامش:

(1) تقع في جنوبي البرازيل، على مقربة من الارجنتين، عاصمتها «بورتو

الغيري».

(2) كانت انتمت عندما امضت سنوات في بيروت، تابعت فيها الدراسة، والتحقّت بمخيمات الحزب، ونشطت حزبيا إلا انها اضطرت، بفعل استمرار الحرب، للعودة

إلى البرازيل، فاستقرت في سان باولو.

(3) نشرت في عدد آب – ايلول 1976.

والوطنية يتحاربون ويتقاتلون ويدمرورن بلادهم.. والدين والوطن والوطنية منهم ومن افعالهم براء...

ولكن صرحا قويا صادما في وجه العواصف والتيارات... للتضامن مع اخواننا الواعين... مقربة من الارجنتين، عاصمتها «بورتو الغيري».

بعد هذا.. بعد هذا فقط يعود الامن والاستقرار والزدهار إلى ربوع لبنان.. لبنان منبع المحبة

سعاد ملكي مع عدد من سيدات الجالية وتبدو الصديقة سعاد مرتدية الفستان ذات الخطوط العريضة

مع ابن وطنه الكاثوليكي.. وهم من بعيد.. من على ارضنا السليبية.. يراقبون ويفرحون.. ويسخرون ويشتمون.. واثت الضحية البريئة تقع في شركهم.. فتقول خلاتك الشخصية التي قتال دمدم.. قتال بين الامل والاصحاب.. والطوائف والقئات.. حرب وقتال في الشوارع والارقة.. يتبعهما حقد وبغض.. جوع ورعب.. وعويل وصراخ.. حزن وموت.. وبكاء يملا جو لبنان..

ما هذه الكوارث والفواجع والنكبات المتتابعة؟؟

او إلى اين يسير لبنان؟ بل إلى اية هاوية يدفونك اليها يا وطني الحبيب؟

يا ويحهم... انهم باسم الدين والوطن

